# كتاب العلاقات المصرية الهندية

# في العصر المملوكي 648-923هـ /1250-1517م

## للدكتور ياسر عبد الجواد المشهداني

عرض: د. محمد نزار الدباغ

مما لا شك فيه أن دراسة العلاقات السلمية بين البلدان والشعوب أسهمت بصورة كبيرة في إغناء الحضارة والتراث وتطويرهما في مختلف العصور التاريخية. فقد اتصل سكان (مصر) القديمة مع شعوب شبه القارة الهندية منذ مدد قديمة قبل الميلاد، وكان لذلك الاتصال أثره المهم في إنضاج المعرفة ومختلف جوانب الحضارة القديمة وتطويرها.

ومنذ الربع الأول من القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد وصل الدين الإسلامي إلى (مصر) إذ أصبحت إقليماً تابعاً للدولة العربية الإسلامية واستمر ذلك لغاية خضوع (مصر) لحكم الفاطميين (٣٥٨هـ/٩٦٨م)، ومن ثم الأيوبيين (٥٦٧هـ/١١٧١م)، في حين تمّ فتح الأجزاء الغربية من الهند (السند) قبيل نهاية القرن المذكور أعلاه، وبذلك أصبح كل منهما إقليماً تابعاً للدولة العربية الإسلامية.

وتكمن أهمية الموضوع (العلاقات المصرية الهندية في العصر المملوكي) في أنه يؤشر مرحلة جديدة في كل من (مصر) و(الهند)، فقد ظهرت في (الهند) السلطنة الإسلامية (٦٠٢هـ/١٢٠٦م)، والتي تعد أول نظام حكم إسلامي يحمل هذا اللقب من داخل (الهند)، حيث امتد نفوذ الإسلام وحكمه تدريجياً إلى مختلف أقاليم (الهند)، وكان سلاطين الهند على علاقة ودية مع

الخلافة العباسية في بغداد أولاً، ثم تابعوها بعد انتقالها إلى القاهرة.

أما (مصر) فقد حكمتها أسر من المماليك سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وقدم إليها عدد من أبناء الخلفاء العباسيين (بعد احتلال المغول لبغداد)، الأمر الذي أضفى عليها أهمية خاصة.

ومن الواضح أن مصلحة (مصر) و(الهند) حتّمت عليهما تطوير العلاقات بينهما في مختلف الجوانب وإدامتها، واستمر ذلك لغاية اكتشاف طريق (رأس الرجاء الصالح)، وبداية ظهور (البرتغاليين) في مياه المحيط الهندي، ثم بداية ظهور (العثمانيين) في الوطن العربي، وصولاً إلى (مصر) بعد معركة (مرج دابق) (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، إذ تدهورت العلاقات المصرية الهندية للأسباب أعلاه.

وعليه، فإن المدة التي أشّرها الكتاب، شهدت أفضل أنواع العلاقات بين (مصر) و(الهند)، وأشملها، ولذلك يمكن عدّها من الدراسات النادرة والمهمة التي لم تحظ بالاهتمام والعناية الكافية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، بما أفرزته من جوانب إيجابية كثيرة، أسهمت في إغناء الحضارة والتراث العربي الإسلامي" وعليه فان هذا الكتاب هو محاولة متواضعة على هذا الطريق، بهدف إلقاء الضوء على تلك الجوانب والمجالات من جهة، ولإبراز الدور الريادي العربي من جهة أخرى.

اشتمل الكتاب على أربعة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول (الخلفية التاريخية للعلاقات المصرية الهندية)، فتطرق إلى الموقع الجغرافي، والحدود، لكل من (مصر) و(الهند)، ثم استعراض أقدم الصلات بينهما. وقد انتهى الفصل بالإشارة إلى تطور العلاقات بينهما، منذ ظهور الإسلام، ولغاية ظهور حكم المماليك في البلدين.

أما الفصل الثاني (العلاقات السياسية والعسكرية)، فتناول التعرف على الأسر الحاكمة في البلدين، وظروفها السياسية، مع التركيز على مظاهر العلاقات السياسية بينهما، كتبادل الوفود والسفارات ورسائل التفويض بالحكم من الخليفة، وغيرها، ومن ثم تطورها إلى الجانب العسكري.

في حين تطرق الفصل الثالث (العلاقات التجارية)، إلى التعرف على الإمكانات الاقتصادية لكلا البلدين، فضلاً عن الطريق البحري الواصل بينهما، وما كان عليه من موانئ، مع الإشارة إلى أنواع السفن التجارية، وأوقات إبحارها، وما كانت تحمله من مواد (صادرات وواردات)، فضلاً عن وسائل البيع والشراء والضرائب، مع التعرف على دور تجار الكارم في تطوير العلاقات المصرية الهندية.

وجاء الفصل الرابع (الصلات الثقافية)، ليعرّف بطبيعة العلوم لدى (مصر) و(الهند)، ومراكز التعليم فيهما، وتتبع حركة العلماء وطلاب العلم بين البلدين، ومن ثم إبراز دور المصريين، الثقافي والديني، في (الهند).

وفي خاتمة الكتاب، ذكر المُؤَلِف أبرز النتائج التي توصل إليها، فضلاً عن وجود عدد من الملاحق والخرائط ذات الصلة.

اعتمد الكتاب على عدد غير قليل من المصادر والمراجع، تنوعت ما بين مصنفات التواريخ العامة، والتواريخ المحلية، وكتب الرحلات، ومصنفات التراجم، والمصادر البلدانية، وغيرها، وبحسب أهميتها للبحث، ويأتي في مقدمتها: (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة)، للعلامة (أبي الريحان البيروني) (ت ٤٤٠هـ)، والذي عدّ وفوده إلى الهند، وإقامته فيها لأكثر من أربعين سنة، من أهم مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند، حتى العهد الغزنوي. ويعد كتابه المذكور مصدراً أساسياً لدراسة العلوم العربية الإسلامية في الهند، وتعريف القارئ بما لدى الهنود من عقائد وتقاليد اجتماعية متعددة.

أما عن تاريخ (مصر)، فلعل أبرز المصادر التي استفاد منها البحث هي مؤلفات (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي) (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٩م)، إذ توافرت في كتبه الخاصة بـ(مصر)، صدق الرواية والمشاهدة المباشرة على عدد من الحوادث، فضلاً عمّا اعتمد عليه (المقريزي) نفسه من مصادر موثوقة، أثناء حديثه عن الوقائع التي سبقت فترته. ومن أهم مصنفات المقريزي المعتمدة: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، أو(الخطط المقريزية)، الذي وصف فيه حال مدينة القاهرة أثناء حكم المماليك لها، فضلاً عن وصفه واستعراضه لمدن (مصر)، وتسمياتها، وخططها.

كما قدم في مصنفه الآخر: (السلوك لمعرفة دول الملوك)، تفصيلات ومعلومات مهمة عن النواحي الاقتصادية للمماليك، وعلاقتهم مع (الهند)، بشكل مباشر أحياناً، فضلاً عن توسعه بذكر واردات التجارة الهندية، واستيفائها في الموانئ المصرية.

ومن بين المصادر المهمة الأخرى التي أفادت البحث: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) للمؤرخ (جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي) (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، حيث أورد فيه نصوصاً في سياسة المماليك، واستعرض أغلب السفارات السياسية الواردة من والى (مصر)، ثم (الهند).

وتعد كتب الرحلات مصدراً مهماً، لما فيها من صدق الرواية، ومعاينة الحدث، ومنها كتاب (رحلة ابن بطوطة) لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)،

والـذي يعـد مصـدراً مهمـاً آخـر للتعريـف بأحوال الهند في تلك الفترة، فقد كـان (ابـن بطوطـة) يعنـى بمتابعـة النـواحي الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية في رحلتـه، فقـد ذكـر أهم ما تمتاز به المدن الهندية الـتي زارهـا مـن منتجات وزروع، كما أتيح له أن يظفر بمكانة كبيرة عند سلطان دلهي (محمـد تغلـق شـاه)، وأن يـدون في سـيرته الكـثير مـن المعلومـات المتعلقة بالعلماء، وعلاقته بالخلافة العباسية في القاهرة.

كمـا وقـدم المُصـنف الكـبير (صـبح الأعشى في صناعة الإنشا) للمؤرخ (أحمد بـن علـي القلقشـندي) (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) الكثير من التفاصيل في شـتى المجـالات، فقـد وصـف مميـزات أربـاب السـيوف وأربـاب الأقلام في الديار المصـرية، واسـتعرض أيضـاً المكاتبات والتفـاويض الجاريـة بـين سـلاطين الهند الإسلامية، وسلاطين المماليـك والخلفـاء العباسيين في القاهرة، من أجل الحصول علـى تفاويض الحكم. و(القلقشندي) وإن كان قد نقل عن المؤرخ (ابن فضل الله العمـري) (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) في كتابـه (مسـالك الأبصار في ممالك الأمصار)، إلا أن معلوماتـه جاءت منسقة وواضحة ومبوبة بشكل لائـق، بعد أن فصّلها، وعلّق عليها.

أما ما يتعلق بكتب التراجم للأشـخاص، فقـد اسـتفاد البحـث منهـا لمعرفـة تـراجم الشخصـيات المهمـة الـتي لهـا دور كـبير في العلاقـات بـين (مصـر) و(الهنـد)، لا سـيما: السلاطين، والتجار، والعلماء، وغيرهم. ومن أبرز هذه المصادر كتاب (أنبـاء الغمـر بأبنـاء العمـر)، لابـن حجـر العسـقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وكتاب (الضوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع) للمـؤرخ (محمـد بـن عبـدالرحمن السـخاوي) (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، إذ ضم المصدران الكثير من السير والتراجم للشخصيات ذات الصـلة بالبحث. ومن الطبيعي أن مثل هـذه المصـادر لا تغفل ذكـر الأحـداث المهمـة والإنجـازات الحضـارية عنـد ذكرهـا واستعراضـها لسـير الشخصيات.

أما المراجـع، فهـي الأخـرى قـد أغنـت البحث بما حوته مـن آراء وتحليلات مهمـة، ويقع في مقدمتها مرجع أساسي يتعلق بتـاريخ الهند، وهو (تاريخ الصلات بين الهند والـبلاد العربية)، للمؤرخ (محمد إسماعيـل النـدوي)، أحد مؤرخي الأسرة الندوية الهندية المشهورة في (الهند)، إذ دونّ فيـه عمـق الصـلات بـين (مصـر) و(الهنـد) في المجـالات السياسـية والتجارية والثقافية والفكرية وغيرها.

كما وتمت الاستفادة مـن مرجـع آخـر، يتعلـق بتـاريخ الهنـد الثقـافي، وهـو (نزهـة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، للمـؤرخ الهندي (عبد الحي الحسني)، إذ تعرض المؤلف

لحال الثقافة الإسلامية في الهند منذ دخول الإسلام وحتى العصور الحديثة.

أما ما يتعلق بتاريخ مصر، فأبرز كتاب يصادفنا هو (الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي)، لـ(انطوان خليل ضومط)، إذ توافرت فيه تحليلات عامة عن طبيعة الأوضاع كافة في دولة المماليك. كما استفاد البحث من عدد من دراسات المستشرقين المتعلقة بتاريخ (مصر) و(الهند)، ومن بينها (Egypt in the Middle Age) للمستشرق (Lane Poole)، إذ استعرض سيرة القاهرة والمدن المصرية الأخرى طيلة العصور الوسطى، وركّز على الجوانب السياسية فيها. وكذلك كتاب (A mediterranean Society) للمستشرق S.D. Goitein حيث سلط الضوء على الجوانب الاقتصادية والتجارية، وما يتعلق بتجارة الكارم، من خلال استقرائه لوثائق الجنيزة القاهرية.

كما ولم يغفل البحث من الاستفادة من الرسائل الجامعية، التي تناولت عدداً من المواضيع ذات الصلة بالبحث، ومن بينها (مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند)، للدكتور (حسين علي الطحطوح)، حيث غطت العديد من الثغرات المتعلقة بالنواحي الثقافية. كما وكان للدوريات، وما تضمنته من بحوث ومقالات علمية، أثرها وأهميتها الواضحة في عدد من جوانب البحث، ومن بينها مجلة (ثقافة الهند)، و(المجلة التاريخية المصرية)، وغيرهما.

وقام المؤلف بمراسلة عدد غير قليل من المكتبات والمؤسسات والجامعات والمتخصصين من العرب والأجانب في مصر، والهند، والأردن، وتونس، والمغرب، وبريطانيا، والولايات المتحدة، وغيرها، بهدف الحصول على ما يمكن أن يفيد الكتاب، ويعززه، كما هو الحال في ردود مجموعة من المراسلات المثمرة. أما أغلب تلك المراسلات، فلم تلبّ أجوبتها طموح الباحث، أو أنها لم تجب أساساً على المراسلة، كما حصل بخصوص مصر والهند.

أخيراً، لا بد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو في الأصل (رسالة ماجستير)، أعدت في جامعة الموصل سنة ٢٠٠٠م، بإشراف الأستاذ الدكتور (حسين علي الطحطوح)، ونالت تقدير (امتياز)، وابتغى المُؤَلِّف من وراء نشرها إبراز عدد من الجوانب المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، ودور العرب الرائد فيها، آملاً أن يسد هذا الكتاب جزءاً مما تحتاجه المكتبة العربية في هذا الجانب.

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | أ-د |
| الفصل الأول : الخلفية التاريخية للعلاقات المصرية الهندية | ١-١٦ |
| الموقع الجغرافي والحدود | ١ |
| المبحث الأول : العلاقات المصرية الهندية قبل الإسلام | ٣ |
| المبحث الثاني : العلاقات المصرية الهندية في ظل الإسلام | ١٠ |
| الفصل الثاني : العلاقات السياسية والعسكرية | ١٧-٤٠ |
| المبحث الأول : الأسر الحاكمة وظروفها السياسية | ١٧ |
| أولاً : مصر . دولة المماليك | ١٧ |
| ثانياً : الهند . سلطنة دهلي | ٢٢ |
| المبحث الثاني : مظاهر العلاقات السياسية | ٢٥ |
| أولاً : السفارات | ٢٥ |
| ثانياً : رسائل التفويض بالحكم | ٢٨ |
| المبحث الثالث : العلاقات العسكرية | ٣٧ |
| الفصل الثالث : العلاقات التجارية | ٤١-٧٢ |
| المبحث الأول : السياسة التجارية | ٤١ |
| أولاً : مصر | ٤١ |
| عوامل ازدهار تجارة المماليك | ٤١ |
| سياسة المماليك التجارية | ٤٢ |
| ثانياً : الهند . سياسة الهنود التجارية | ٤٨ |
| المبحث الثاني : الثوابت التجارية | ٤٩ |
| أولاً : طرق التجارة وموانئها | ٤٩ |
| ثانياً : أسلوب التعامل التجاري | ٥٣ |
| ثالثاً : السفن | ٥٤ |
| رابعاً : أهم الصادرات والواردات | ٥٦ |
| المبحث الثالث : دور تجار الكارم في العلاقات المصرية الهندية | ٦١ |
| الكارمية | ٦١ |
| عوامل ضعف التجارة المصرية الهندية | ٦٨ |
| الفصل الرابع : الصلات الثقافية والدينية | ٧٣-٩٤ |
| عوامل الصلات الثقافية | ٧٣ |
| المبحث الأول : طبيعة العلوم ومراكز التعليم | ٧٤ |
| الاهتمام بالأماكن الإسلامية المقدسة | ٨٣ |
| المبحث الثاني : حركة العلماء وطلاب العلم | ٨٥ |
| المبحث الثالث : أثر المصريين الثقافي والديني | ٩٠ |
| أولاً : في مجال اللغة العربية | ٩٠ |
| ثانياً : في مجال التصوف | ٩٢ |
| ثالثاً : فن العمارة العربية الإسلامية | ٩٣ |
| الخاتمة والاستنتاجات | ٩٥-٩٦ |
| المصادر والمراجع | ٩٧-١١٤ |
| الملاحق والخرائط | ١١٥-١٢٣ |

## تعريف بالمؤلف

والمُؤَلِف من مواليد مدينة الموصل/ العراق سنة ١٩٧٥م، وهو عضو هيئة التدريس في قسم التاريخ بكلية التربية/ جامعة الموصل، ونال شهادة البكالوريوس آداب/ تاريخ ١٩٩٨م جامعة الموصل، وشهادة ماجستير تاريخ إسلامي من كلية التربية/ جامعة الموصل سنة ٢٠٠٠، وحصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية التربية/ جامعة الموصل سنة ٢٠٠٥. وتخصص في تاريخ الإسلام في الهند وجنوب شرق آسيا عن رسالته للماجستير: "العلاقات المصرية – الهندية"، وأطروحته للدكتوراه: (الهند من خلال رحلة ابن بطوطة)، وله ثلاثة كتب منشورة، هي: (تاريخ الدول الإسلامية في آسيا)، عن (دار الفكر) (عمان – ٢٠١٠)، و(الهند من خلال رحلة ابن بطوطة)، عن (دار نشر المعرفة) (الرباط – ٢٠١١)، و(تاريخ اليونان والرومان في الشرق الأدنى)، مشترك، عن (دار الفكر) (عمان – ٢٠١٢)، فضلاً عن ثمانية بحوث منشورة، وشارك في واحد وعشرين مؤتمراً محلياً وعربياً وعالمياً، وله خمسة عشر مقالاً منشوراً في مجلات وصحف مختلفة، فضلاً عن الانترنت.

وعمل المؤلف مقرراً في قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل، للسنوات بين (٢٠١٠-٢٠١٣)، وهو عضو مشارك في إنجاز موسوعة علماء العرب والمسلمين (تونس – منظمة الايسسكو، بنحو ١٧٠ ترجمة)، وعضو اللجنتين الامتحانية والمالية بقسم التاريخ منذ ٢٠٠٤. وقد أشرف على رسالتين جامعيتين، وناقش خمساً، كما ألقى محاضرة عن الهند في الدراسات الاستشراقية في (وحدة الدراسات الاستشراقية – كلية الآداب، جامعة الموصل)، في أيار ٢٠١٣ ❑